شفيق حبيب منارةٌ للشعر
ورمزٌ للوطنيَّةِ المُلتزمة

الدكتور يحيى زكريا الآغا

الدوحة – قطر

▪ يُعَدُّ الشاعر شفيق حبيب من بين جيل الشعراء الذين فتحوا عيونهم على واقعٍ مؤلم، وظلمٍ شديد، فتحوَّلَ الظلمُ الذي يختزنهُ هو وغيرُه من الشعراء إلى بركانٍ تفجّرَ ينابيع لظىً.

▪ بدأت أسلاكُ دولة "الديمقراطيّة" تحيطُ بالشاعر من كلّ جانب بعدَ صدورِ أول مجموعةٍ شعريةٍ له، لكسر قلمِه، فانبرى لهم بصمودهِ ومواقِفِهِ الصَّلبة، وأبى على نفسه أن يكونَ قلمُهُ بمدادٍ إسرائيلي، وفكرُهُ بثقافةٍ صهيونية، فتحوَّلت كلماتهُ في ديوانه "آهِ... يا أسوارَ عكا !!" الذي صدر بعد عمليةِ الإقامةِ الجبريّة التي فرضت عليه، إلى صرخاتٍ مدوِّيةٍ في وجهِ جلاديه.

▪ بدأ بشعرهِ قويًا؛ وما زال، قرأ لعمالقة الشعراء في العصور المختلفة، واطلعَ على الثقافات المتنوعة، وكوَّنَ لنفسهِ ثقافةً خاصة، وأبجديّةً مصدرُها الإحساسُ الفاجعُ بالحياة، فجاءَ شعرُه بصوتٍ مرتفع، وموازنًا في بنية النص الشعري بين حُسْنِ استخدامِ اللفظِ الدَّالِّ على المعنى، وعمقِ التجربة، نوَّعَ

في كتابةِ النصِّ الشعريّ، فجاءت القصيدةُ الخليليةُ سليمةً من الأخطاء التي يقعُ فيها الكثيرُ من الشعراء، وهو على يقين بأن الشاعر إذا لم يكتب على هذا النسق فليس بشاعر مهما علا، وانتقل إلى قصيدة الشعر الحُرّ، ليواكبَ التطوُّرَ في بنية القصيدةِ شكلاً ومضمونًا.

▪ يكتبُ الشعرَ الملتصقَ بالوطن، ويمزجُ الموضوعاتِ البطوليةَ بمشاعرهِ الصَّادقة، وما يحيطُ بقضيتهِ الرئيسية فلسطين من مخاطر، فأصبح شعرهُ جزءًا من الوطن.

▪ كتب عنه الشعراءُ والنقادُ الكثير، ومن يقرأ العددَ التكريميَّ لمجلة الشرق (العدد الثالث/المجلد ٢٠٠٢/٣٢)، يقرأ جزءًا من كتابات النقاد والشعراء والأدباء عنه، وهذا يدلُّ على المكانة الكبيرة التي وصل إليها الشاعر والتي تجاوزت حدود الوطن فلسطين إلى دول أخرى.

▪ وعندما يُكرِّمُ شعراءُ المثلث والجليل الشاعر شفيق حبيب من خلال العدد الخاص لمجلة "الشرق" التي صدرت مؤخرًا في الوطن فلسطين، مصدِّرةً على غلافها صورة له، مع عنوان معبّر يقول: "الشاعر شفيق حبيب – شاعرُ القرن الضِّلّيل"، وهو مقتبسٌ عن عنوان لديوانٍ له بعنوان "مأساةُ القرن الضِّلّيل" فإنَّ هذا يدلُّ على تقدير الشعراء وأسرة التحرير في المجلة لهذا الشاعر.

▪ ولقد كان لي شرف التعرُّف على الشاعر من خلال دواوينه الأربعةَ عشرَ والتي تعتبرُ منهاجًا في الوطنية ومنهلاً لكل من أراد أن يرسمَ ملامحَ النضال بالكلمة ضدَّ المحتل، فهو شاعرٌ بما يحملُ من معنىً وحروفه لظىً، تضرمُ النارَ في الذئاب، ويُحطمُ بكل ما يملكُ من قوةِ الكلمة، الظلمَ على نفسه وشعبه، تعرَض لمحاولاتٍ متعددة لطمس الحقيقة، لكنه امتدَّ بشعره فوق الأرض الفلسطينية، فتمدَّدَت قصائدهُ في أنحاء الوطن الأسير والوطنِ العربيّ وصولاً إلى نخيل العراق، بل وتجاوزت إلى دُولٍ أخرى، تُرجمت قصائدهُ إلى الإنكليزية والفرنسية، السويدية والعبرية وغيرها، فأصبح صوته وطنًا في القصيدة وقصيدتهُ بركانًا ثائرًا يعيش بين وجيبه، فتفاعل اللفظُ والمعنى، وكوَّنا جسدًا هو القصيدة التي تحملُ الصِّدقَ والواقعية.

▪ منذ صدور ديوانه الأول "قناديل... وغربان" عام ١٩٧٢، إلى الديوان الرابعَ عشرَ "صارخٌ في البرِّية" الصادر عام ٢٠٠١ يبرزُ التزامُ الشاعر إزاء قضيته الأساسية التي ناضل وما زال من أجلها، فكل من يقرأ له، يشهد بما له من التميز والإبداع، ويخلص إلى نتيجةٍ مفادُها بأن الخريطة الأدبية في الوطن العربيّ لا يمكنها تجاوز هذا الشاعر، وبالتالي فإن تكريمَه الخاص من خلال هذا العدد من مجلة "الشرق" يمثلُ كلَّ الشعراء وتكريمًا للغة البيان التي امتلك ناصيتها، لتصبحَ طوْعَ قلمهِ ولسانه، فيقذف بها في وجه جلاديه وقتما يشاء، ويفتحُ من خلالها نافذةَ الأمل بالنصر.

▪ يُعتبرُ الشاعر شفيق حبيب واحدًا من الشعراء الفلسطينيين في المثلث والجليل الذين تشهد لهم قصائدُهم بصدق انتمائهم، وقدسية القضية التي يدافعون عنها، لأن هدفهم واحد، وعدوَّهم مشترك، وأرضهم مغتصبة.

فتحيةً لكل شعراء فلسطين الذين يضيئون شمعةً ويرسمون حدودَ الوطن بأحرفٍ ممزوجةٍ بدماء الشهداء، وتحية لكل شعراء الوطن العربيّ الذين ينسجون من أجسادهم حروفًا صادقةً من أجل فلسطين.

صحيفة "الشرق" القطرية

٢٦ / ٢ / ٢٠٠٣م